الاصلاح الفلسطيني.. من يصلح ماذا؟ ومن أين تكون البداية؟

بقلم : د. هديل رزق–القزاز

بات الحديث عن الاصلاح في المضمون الفلسطيني حديثا مكررا، ومع عشرات إن لم تكن مئات المقالات الصحفية والمقابلات التلفزيونية والإذاعية التي تناولت الجوانب المتعددة للاصلاح وركزت تحديدا على الاصلاح السياسي صار الحديث عن نفس الموضوع لا مكان له. لكن الاهتمام بموضوع الاصلاح ومحاربة الفساد عاد يطرح في مؤتمرات ولقاءات عديدة قد لا يبدو بعضها مترابطا أو على صلة. في مؤتمر »الفقراء يتكلمون« تناولت ورقة متخصصة موضوع محاربة الفساد كأحد مطالب الفقراء، وعند الحديث عن استراتيجية «البناء المقاوم» كان موضوع الاصلاح وعناصره المختلفة من أهم الموضوعات المطروحة وهكذا صار الاصلاح موضوعا «تنمويا» بنفس أهميته السياسية ودون أن يتضح في أذهان العديد منا السبب وراء ربط الاصلاح بالتنمية ومدى دقة هذا الربط وكيفية تأثيره على حياة المواطن العادي. وحتى لا يتحول الاصلاح لمجرد شعار وشماعة أخرى نلقي عليها همومنا واخفاقاتنا لابد من وقفة جادة وحقيقية مع النفس، وتحدي امكانية أن يتحول شعار الاصلاح ومحاربة الفساد إلى شعار مؤسساتي آخر تتداوله النخب دون أن يمس واقع الناس وحياتهم اليومية.

للفساد ثمن تنموي

أخذ موضوع محاربة الفساد وضرورة الاصلاح والحكم الصالح بعناصره التي تشمل النزاهة والشفافية والمساءلة وحرية الرأي والتعبير والمشاركة السياسية، يطرح بصورة أكبر في الأدبيات التنموية الحديثة. واذا أصبح من المقبول عالميا تعريف التنمية على أنها توسيع خيارات البشر وتحرير قدراتهم، وليس من الغريب أن يطرح تقرير التنمية الانسانية العربية غياب الحكم الصالح كأحد أهم معوقات التنمية في الوطن العربي وربط بشكل واضح بين عملية الإصلاح والنهوض الاقتصادي وبين عملية تعزيز المشاركة الشعبية والديمقراطية في المجتمع. وبذلك أكد التقرير على تحرير الطاقات البشرية بحيث يكفل القانون إعلاء صوت الشعب وتشجيع صحافة حرة ومسؤولة ومشاركة اكثر فاعلية للناس، بالاضافة إلى تفعيل الخدمات الأساسية مثل التعليم والرعاية الصحية.

ومن هذا المنطلق لا يكون ثمن الفساد وسوء الادارة والتخطيط ماديا فقط. على الرغم من ارتفاع الثمن المادي لأشكال الفساد المختلفة والمتمثل في الاحتكارات وسوء استخدام الموقع العام لمصالح ذاتية، والرشاوى والمحسوبيات وغيرها من الآثار الملموسة مباشرة فإن هناك ثمنا اكبر وأكثر أهمية يتمثل في حرمان الغالبية العظمى من المواطنين من الشعور بالانتماء ومن بناء قدراتهم في بيئة سليمة وفي حرمانهم من توصيل صوتهم ومن مشاركتهم في تغيير حياتهم للأفضل. ومن هذا المنطلق يتضح أن ثمن الفساد باهظ على جميع الأصعدة وأن الاصلاح ضرورة تنموية مثلما هو ضرورة سياسية وأن الاصلاح تنمويا يعني تحسين الأداء العام والقدرة على التخطيط وتنفيذ خطط تنموية تشرك المستفيدين وتفيدهم.

من هنا لا أختلف مع فكرة أن الاصلاح ضرورة ملحة وأن الفساد وسوء الادارة وغياب التخطيط هي الأسباب التالية للاحتلال مباشرة في حالة «اللاتنمية» التي يعيشها المجتمع الفلسطيني ولكن اصلاح من؟ واصلاح ماذا؟. حتى الآن لم يخرج الحديث عن الاصلاح من زاوية التشخيص للحالة، وبنظرة شاملة لكل ما يدور من نقاشات نكتشف أن كل ما حولنا يحتاج لاصلاح. في البداية كان الحديث عن اصلاح مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية وأهمية تطوير دورها وتحسن أدائها ولكن التشخيص امتد ليشمل المطالبة باصلاح مؤسسات المجتمع المدني من منظمات أهلية وأحزاب سياسية واطر جماهيرية ونقابات عمالية ومهنية والسلطات المحلية والجهاز القضائي والمجلس التشريعي والنظام التربوي وغيرها. وبكلمة واحدة ونظرة متشائمة كل ما حولنا تم تشخيصه على أنه بحاجة ماسة للاصلاح، أي أننا نعيش في مجتمع تعاني كافة مؤسساته وأطره من درجات متفاوتة من الفشل والقصور. حتى لو تم الاتفاق مع هذه النظرة السوداوية فالسؤال هو من يصلح ماذا؟ ومن أين تكون البداية؟ لعل الاجابة عن هذا السؤال

تتمة ص ٦

تنمية ع البساطة

عاشور المغلوب وتقليب الجيوب

بقلم: وداد البرغوثي

نجلس لمشاهدة التلفاز ، وفي عز الانسجام مع برنامج ما، مسلسلا كان أو موضوعا ثقافيا أو سياسيا، يقطع المذيع علينا الانسجام ليخبرنا أن فاصلا إعلانيا سيهبط علينا، وكأن الإعلانات قدر لا راد له. بديباجات متشابهة، لمواد أكثر تشابها.

مواد غذائية يريك إعلانها شابا طويلا عريضا ، تتهاوى «رجولته» ويكاد يبكي حسرة لأن أحدا من أفراد الأسرة سبقه إلى قطعة جبن.أو أن أسرة تلتهم طعاما ما بمنتهى الشراهة «مطلقة بالثلاث» كل آداب المائدة التي نتعلمها منذ صغرنا ويطلب منا أن نحافظ عليها حتى لو متنا جوعا. وفلسفة أفلاطون تصبح « مسخرة» بعد أن كانت علما وفلسفة تدرس في المدارس والجامعات ويسهر الدارسون على حفظها طيلة الليل، تصبح لا شيء بدون مكيفات كرافت ألفا.

أما المنظفات فحدث ولا حرج. فللمنظف الذي يعلن عنه دائما مفعول السحر في تنظيف البقع، ولا تخجل وسيلة الإعلام أن تقول اليوم إن كل المنظفات ما عدا إريال لا تنظف، وهي قبل لحظة أو بعد لحظة قالت أو ستقول الشيء نفسه عن شاين أو أومو أو أي شيء آخر، هذا ما يجري مع كل الإعلانات وعن كل السلع وفي كل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة على حد سواء.

المهم أن يجري توريط المستهلكين في شرائها ،لا فرق في الطريقة ولا في الوسيلة ، لأن ميكافيللي دائما حاضر في أذهان المعلنين بفلسفته الغائية «الغاية تبرر الوسيلة».

وبعد توريط المشترين في شرائها يتبين أنها لا تختلف عن غيرها . وإن سألت بائعا ما أو مسوقا لهذا المنتوج ، يقول إنك استعملته بطريقة خاطئة. ويدرك المستهلك أي فخ وقع فيه. ولكن بعد فوات الأوان أي بعد أن، دفع الثمن.

ولا يختلف الحال عند التجار. إذا اشترينا من أحدهم قميصا مثلا فإنه لا يترك مواصفة إيجابية إلا وذكرها في مدح هذا القميص حتى تخاله سيقول «القصيد في مدح القميص المجيد» ليبرر لنا ارتفاع الثمن . بعد التجربة تكتشف أن القميص قد «خرب من أول غسلة»، وحين تذكر ذلك للبائع، مباشرة يرد، هذا النوع يجب ألا يغسل بالغسالة، بل باليد أو بالماء البارد وليس بالسخن أو أو. أنت دائما المخطيء. هذا يذكرنا »والشيء بالشيء يذكر بقصة عاشور : اسمه الحقيقي ليس عاشور.

بعد نكبة ٤٨ الهيئة الدولية ممثلة بوكالة الغوث الدولية (جزاها الله خيرا) القيام بواجب العزاء للفلسطينيين بمصابهم العظيم وفقدهم الجلل الذي لا يضاهيه فقد. قدمت لهم بعض الخيام وبعض التموين الذي لا يسمن ولا يغني من جوع. أحد اللاجئين تفتقت قريحته عن فكرة، وهي أن يحمل حصته من الدقيق ويدور بها على القرى ليبيعها كمبيد للبراغيث. وكون البراغيث والحشرات والأوبئة والفقر مرادفات لكلمة الحرب أو من الآفات التي تفرزها، فقد كانت منتشرة بشكل كبير ومزعج. الأمر الذي سبب رواج تلك البضاعة، وسببت ربحا وفيرا للبائع. وما أن استلم حصته من التموين في الشهر التالي حتى طاف على القرى. هاج الناس واحتجوا وهجموا على البائع لأن دواءه لم يقض على البراغيث والحشرات، بل أنعشها فتكاثرت «طبعا فقد وجدت في دقيقه ما تتغذى عليه في وقت لا يجد الناس الخبز. فسألهم: كيف استعملتم الدواء ، فأجابوا: نثرناه في الأماكن التي تكثر فيها الحشرات. ضحك وقال لهم: لقد أخطأتم.بطريقة استعماله. وهذا هو السبب، سأخبركم عن الطريقة الصحيحة. اشتروا منه ووقفوا يستمعون إلى الطريقة الصحيحة فقال لهم: كان عليكم أن تمسكوا بالبرغوث وتضعوا الدواء في فمه.

غاية عاشور المغلوب أيضا بررت وسيلته رغم أنه لم يدرس ميكافيللي. دافعه كان درء الجوع عن أطفاله لا البحث عن الثروة ولا تربية النزعات الاستهلاكية لدى الجمهور كما يفعل الباحثون عن الثروة في زمن تسوده ثقافة الاستهلاك رغم حالة الحرب التي نعيشها منذ سنين. فبإعلاناتهم يقلبون الجيوب حتى يفرغوها.

للمراسلة

نهتم كثيراً بآرائكم

شاركونا ملاحظاتكم ومقالاتكم على عنواننا التالي:

برنامج دراسات التنمية - جامعة بير زيت - ص.ب ١٨٧٨ رام الله

تلفون: ٢٩٥٩٢٥٠ - ٢ (٩٧٢) فاكس: ٢٩٥٨١١٧-٢(٩٧٢)

البريد الإلكتروني: dsp@birzeit.edu الصفحة الإلكترونية: http:\\home.birzeit.edu/dsp

للمراسلة

البيدر

رئيس التحرير: د. نادر سعيد

سكرتير التحرير: جبريل حجة

بدعم مالي من المعهد الجمهوري الدولي

WITH SUPPORT FROM THE INTERNATIONAL REPUBLICAN INSTITUTE.

الإنماء ٢٩٨٧٣٤١/٤